كلمات في « الصّحاح »

الدكتور ابراهيم السامرائي

« الصحاح » معجم من اوائل المعجمات في العربية ، وصاحبه ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري (١) الذي صنفه للأستاذ ابي منصور البيشكي (٢) .

قال ياقوت : « كان الجوهري من اعاجيب الزمان ذكاء وفطنة ، واصله من بلاد الترك من فاراب ، وهو امام في علم اللغة والادب .. (٣).

ولقد عُني اللغويون والادباء المتقدمون بـ « الصحاح » واشاروا الى قيمته اللغوية ومنزلته التاريخية ، وسبق الجوهري في ابتداع نظامه . وحسبك ان تعرف ما قال ابن منظور في مقدمة « اللسان » واطرائه تصنيف الجوهري في « الصحاح » الذي « قد احسن ترتيب مختصره وشهره بسهولة وضعه فخفّ على الناس امره فتناولوه ، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه » . وهو يشير الى فضائل « الصحاح » كما يفصح عن عسر المنهج وسوء الترتيب في « تهذيب » الازهري و « محكم » ابن سيده (٤) .

وكان من عناية الدارسين بـ « الصحاح » ان كثرت نسخه ، وكان من ذلك ايضا ما وصل الينا من الحواشي والتعليقات والاستدراكات

---

(١) اسماعيل بن حماد الجوهري ، ابو نصر ، المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . انظر ترجمته في انباه الرواة للقفطي ١/١٩٤ ، ونزهة الالباء للانباري ص ٢٣٦ ، وبغية الوعاة للسيوطي ص ١٩٥

(٢) هو ابو منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكي ، انظر معجم البلدان ٦/١٥٧ (ط . السعادة)

(٣) معجم الادباء ٦ / ١٥١ « ط مرجوليوث »

(٤) مقدمة « اللسان » .

الكثيرة . ولـو اردت ان تحصي هذه المواقين والتعليقات والقـ [illegible] لكانت معجمات برأسها . وبحسبك ان تدرك هـذه الحقيقة [illegible] مجـد الدين الفيروزابادي يحمل من مـواد معجمه الاشارة الى [illegible] الجوهـري في « الصحاح » كما بـدا لـه .

ولقـد درج الجوهري في تصنيف معجمه هذا على نهـج [illegible] ولم يسبقه اليـه سابق ، فقد رتب الكلمات بحسب اواخرهـا ، وسمّاها ابواباً،ثم عاد في كل باب ، فرتّبها بحسب اوائلهـا فعدّها فصولاً، متبعـا الحروف الهجائية كما رُتّبت ترتيبهـا المشهور غير الابجدي .

قلـت : لـم يسبقه في هذا النظام سابق ، وهنا يحسن بي ان اقف وقفة خاصة على كتاب التقفية في اللغـة »(*) لابي بشر اليمان بن ابي اليمان البـدينجي المتوفى سنة ٢٨٤هـ . وهـذا الكتاب ضرب من معجمات المعاني الخاصة . اقـول « الخاصة » واعني بها تلك [illegible] ترمي الى غرض خاص . والغرض من « التقفيـة » [illegible] المصنّف استشعر ان حاجـة الكتبة والناظمين الى ان يكون بين ايديهم حشد من الكلم الذي يأتي على قافيـة واحدة،والذي يخضع الى ما يشبه الوزن الواحـد . ولم يشر المصنف الى غرضه هذا ولكني [illegible] من النظر الدقيق والاستقراء الوافي لمـادة هذا المعجم الكبير .

ولنأت على شيء من هذه المـادة لنتبين هذا الغرض [illegible] فنقـول :

بـدأ المصنف بـ « بباب الالف الممدودة » فذكر [illegible] القصب ويقـال : رؤوس القصب ، قـال الشاعر ...

ثـم ذكر « الإباء » اي الامتناع .

وتحوّل بعد ذلك الـى « النجاء » ثم « [illegible] » ثم « [illegible] » ثم « الحِرباء » ثم « الحَباء » ... الى اشيـاء اخرى مما ادرجه في هذا البـاب .

(*) من مطبوعات وزارة الاوقاف ببغداد ١٩٧٦ بتحقيق الدكتور خليل العطية .

وانت ترى ان الكلمة لا تعني المصنف الا بالقدر الذي يضمن الغرض وهو توفير القافية وهي الهمزة ، ولا يعنيه ان يكون الكلم مرتبا من حيث اوائله على حروف المعجم، فقد تحول من الهمزة في اول « الإباء » الى الخاء في « الخِباء » ثم الهاء في « الهُباء » ثم عاد الى الحاء في « الحِرباء » ثم العين في « العَباء » ثم ...

ولاحظ انه لم يُعنَ عناية كافية بالابنية والصيغ لتوفر القافية التي هي غرضه ، ذلك ان « الحرباء » ليست من وزن « أبـاء » بفتح الهمزة الاولى ولا من وزن « إبـاء » بكسر الهمزة الاولى مصدر « ابى » « يأبى » ولا هي من وزن « خِباء » مثلا . وعلى هذا فقد كان الحفاظ على الابنية غير متوفر . وهذا يعني ان المهم هو الهمزة الاخيرة التي اقتضتها القافية . ولا يذهبن بالقارىء الوهم في ان المصنف التزم الباء قبل الالف في هذا الضرب من الكلم ، ذلك انه ادرج في هذا الباب« الالف الممدودة » القاقاء » و « الرهطاء » و « المنصاء » و « الرجاء ».

ثم انـه قصر كل التقصير في استكمال هذه المواد التي تدخل في « باب الالف الممدودة » التي ابتدأ بها كتابه . انك تفتش مثلا عن « الحِواء » بكسر الحاء و « العِداء » بكسر العين فلا تجد لهما مكانا في هذا الباب الكبير .

وانت تجد من سوء الترتيب وعبث المنهج والنظام في هذا «المعجم» الشيء الكثير . لقد شغل المصنف بغرضه وهو « التقفية » اي توفير « القافية » من ذكر الدلالات الضرورية للكلم واستقرائها واستيفائها . لقد ذكر المصنف « الحِذاء » ووضع الى جنبه النعل، واغفل ذكر «الحِذاء» بمعنى المحاذاة مصدر « حاذى » ، وليس ذلك بعيدا عن منهجه فقد ذكر « الإباء » مصدر « ابى » « يأبى » وذكر « الحُداء » وهو صوت تساق به الابل ، ثم لم يذكر « الفَناء » و « البقاء » و « السقاء » وهي مصادر كلها .

لـــم يشر المحقق الدكتور خليل العطية الى شيء من هذا [illegible]
انك عمدت الى ان تحصي ما فات المصنف من الكلام [illegible]
شيء كثير تستدركه عليه .

ولا تستطيع ان تتبين شيئا يشبه المنهج قد اتبعه المصنف [illegible] جمع مادته في شيء يشبه الجزازات، بل انك لتذهب الى ان [illegible] يكتب ما يعن له ويخطر في ذاكرته ، فقد يذكر الشيء ولا [illegible] نظيره ، انه يذكر « الشُّجراء » وكان عليه مثلا ان يجمع الى [illegible] الطرفاء والحلفاء والقصباء وغيرها، وذلك احفل بالنظام [illegible] التصنيف المنهجي . لم يكن شيء من ذلك، فاذا ذكر « [illegible] المراة الوافرة العجيزة، فلا يدعوه ذلك الى ان يأتي [illegible] و « العوراء » و « الرعناء » و « النجلاء » [illegible] والصفات التي تتصل بـ « خَلق المراة » .

ولا اريد ان اعرض لما رافق التحقيق من [illegible] في مبحث نشرته منذ سنوات .

ولا يكترث المصنف ان يأتي هذا الكلام الممدود [illegible] فقد رايت انه يأتي بالاسم كما يأتي بالصفة [illegible] بالجمع ويأتي بالمذكر كما يأتي بالمؤنث . انه يشترط [illegible] في الآخر ، وقد يحيل المقصور الى الممدود ولو كان [illegible] الاستعمال ليضمه الى هذا « الباب » .

لقد اتى بـ « شُهَداء » و « شُعَراء » و « أُمَراء » [illegible] كما اتى بـ « رِداء » و « حِذاء » و « رُشاء » وهي اسماء [illegible] « حِرباء » و « نافقاء » و « شيتْراء » وهي مؤنثات كما اتى بكثير غيرها من المؤنث والمذكر على حد سواء .

ولم يكترث بالحروف الاوائل ولم يكن لها اي اعتبار .

وقد قلت : انه ربما راعى شيئا يشبه الهجاء والصيغة [illegible]

فهو مثلا في بنـاء « فَعَل » يأتي بـ « الخَبَب » و « النَّدَب » و « الغَبَب » و « السَّبَب » . وهو الى هذا الحـد ملتزم بالبناء ، ولكنـه يأتي في هذه « القافية » بـ « الطِّبَب » بكسر الطاء بمعنى الطرائق ، و « الكُثَب » بضم الكاف جمـع كُثبة بالضم ايضا وهي تعني ثلثي القدح من الشراب .

ولا تظنَّن ان المصنف يجمـع في كل باب كل الكلم الذي اخضعـه الصيغة والوزن كمـا ادعى وزعم، فقد افلت منه قـدر عظيم، الى جانب سوء طريقته في التأليف والتصنيـف .

ومهما يكن من هذا فقد ظفر بالمخطوطة الاستاذ الجليل حمـد الجاسر في خزانة ايا صوفيا باستانبول، واشار الى ذلك في مجلـة « العرب » (٦) وقد كتب مقالة يشير فيها الى سبق (البدنيجي) في صناعة المعجـم في نظام القوافي، واشار الى ان الجوهري لم يكن البادىء في « نظامـه » هذا . وقد أعجب بالرأي والمقالة الاستاذ خليل العطيه وبدا لـه ان يدرس المصنف وكتابه « التقفية » متخـذا ذلك رسالة الدكتوراه، فكان له ما اراده .

ومن المؤسف أن الدارسين العرب، بل قـل المشارقة عامة ، حين يتم كون الكتابة في موضوع تذهب بهـم الحماسة الايجابية للموضوع الى مذهب يتعصبون بسبل يضيقون بالعلم فتفسد النتيجة . اقـول اذا اراد احدهم أن يكتب عن فلان او فلان مـن الشعراء والادباء وسائـر اصحاب العلوم والفنون ، يأخذه شيء مـن هوى ليس من العلم، فيحبّ الرجل ويجله اجلال النـاس ، ثم يذهب بـه هذا الاندفاع الى شيء من العبث فيفسر من آرائـه تفسيرا يبتعد عن العلم ليقول لنـا ان صاحبه قد ادرك الغاية في العلم، وانـه كيت وكيت .

ان شيئا من هذا قد اخذ بـه الدكتور العطية فحسب أن البدنيجي كان « رائدا » كما يقال في هذه الايام ، وانـه سابق لاسماعيل بن حماد

---

(٦) مجلة العرب ، ٢ ، (١٩٦٧ م) ، ص ٥٧٧ — ٥٨٨

الجوهري وليس « الصحاح » الا تقليدا للتقفية في الابواب والفصول . ولقد رأينا ان التقفية لا تتصل باي نظام واي منهج ، وان صاحب « الصحاح » قد رسم المنهج واتسعه وانسه عني بالاواخر [illegible] من اصوات العربية . ولـو ان شيئا مما خول للاصناف [illegible] السلية قد كان ، لصرح بذلك المتقدمون ممن عاصروا الجوهري او اتـوا بعده ، ولم يصل الينا شيء من ذلك .

انتهى الكلام على « التقفية » ومن صاحبه الاول [illegible] « الصحاح » . ولنعد الى « صحاح » الجوهري ثانيا :

لقد شُغل الباحثين هذا المعجم طوال عصور عديدة كما [illegible] اول هذه المقالة ، ولم تقتصر العناية على اولئك العلماء في العصور المتعاقبة . لقد كان اهل عصرنا هذا من المعنيين بـ « الصحاح » عناية المتقدمين به . وما اظن احدا يجهل قدر العناية الوافية التي اولاها الاستاذ احمد عبد الغفور عطار لهذا المعجم (٢) فقد افرد جزءا برمته لدراسة الكتاب دراسة وافية جاء فيها بفوائد جمة . ثم طلع علينا الاستاذان نديم المرعشلي واسامه المرعشلي بكتاب جديد وسم بـ « الصحاح في اللغة والعلوم » . وقد اثبتا تحت هذا الاسم :

« تجديد صحاح العلامة الجوهري والمصطلحات العلمية والفنية للمجامع والجامعات العربية » .

والكتاب في جزأين كبيرين مع رسوم وايضاحات وافية (٣) .

ولنبدأ بالكلام على هذا « الصحاح المجدَّد » لنرى اين الجدة بل التجديد . كأن ديباجة « الصحاح » قد رثّت فعلا [illegible] ان يجدّداها ؛ فماذا صنعا ؟

---

(٢) الجزء الاول من « الصحاح » وهو مقدمة المحقق ويقع في ٢١٢

(٣) الصحاح . دار الحضارة العربية ـ بيروت ، بتقديم الشيخ عبد الله العلايلي .

ان هذا المعجم الجديد ايسر منه من « صحاح » الجوهري فــهو الاضخم فقد عمد المصنّفان الرمضانيان الى مــواد مختارة من هــذا المعجم وغيره في المعجمات الاخرى مــع كثير من الايجاز والحذف ، ثـم اضافا اليها ما هو شيء من مــواد عصرنا هذا من المصطلــح العلمي ، مما اعتمدته فيـه مجامع اللغـة العربية .

نمـوذج (١)

أبــد :

الأبــد : الدهر . وابدَت البهيمة تأبُدُ أُبودًا : توحشت .

والاوابد : الوحــوش .

والاوابد : الشوارد من القوافي ، قــال الفرزدق :

لــن تدركوا كرمي بلؤم ابيكمُ   وأوابــدي بتنحُّــل الاشعــار

ثـم عقبا على هذا المرور الخاطف بهذه المـادة الكبيرة التي وردت في « الصحاح » باسره « اللسان » باضافة لمـادة معاصرة هي : ان الأبــد (EON) وهو اطول مرحلة من مراحـل الزمن الجيولوجي، لا يقلّ مداها عن مئـات من ملايين السنين ...

نمـوذج (٢)

أبــر :

أبــر النخل ، ونخلة مأبُّورة . والأبَّار : صانع الإبــر .

ثم [illegible] :

الإبــرة المغناطيسيــة ...

وهكذا جرى المصنفان في سائر المــواد التي اختاراها واختصراها واوجزاها على طريقتهما مــع اضافة ما يتّصل بهذه المــواد مما جاءت به العلوم الحاضرة من المصطلح العلمي والفني .

فهل وفينا بحاجة اهل العلم من المصطلح الجديد ! [illegible] قصّرنا فيه اشد التقصير .

واذا كان هذا « الصحاح المجدّد » ليس من « مصطلح » العصر [illegible] في شيء لأنه اختصار بل مسخ لا يفي بغرض الدراسة [illegible] لنا ان ندعوه بـ « الصحاح » ونقيّد بـه « العلامة » [illegible] ليس من « الصحاح » وليس شيئا جديدا مستوفيا المطلوبات [illegible] المعاصرة . ان الذي فيه من المصطلح العلمي لا يفي بمطلوبه [illegible] الجديد في العلوم والتكنولوجيا . انتهى الكلام على [illegible] « الصحاح المجدّد » .

ولنعد الى تقديم « العلامة » الشيخ عبد الله العلايلي، ثم نعقب ذلك بالكلام على مقدمة المؤلفين اسامه ونديم المرعشلي .

لقد نوّه الشيخ عبد الله العلايلي بصنيع المؤلّفين [illegible] واتقان عملهما فقال :

"بعضه احياء وبعضه تجديد ، وجاء من بعد [illegible] هذا التكامل ...

وحاجة اللغة الى مثله يوما لم تكن باكثر منها اليوم ...

ثم عرض الشيخ العلايلي في تقديمه الى اهمية اللغة [illegible] التشكيل الاجتماعي فقال : « انها مؤسسة مرتبطة ارتباطا [illegible] بنشاط الانسان، تتحرك بقانون الغاية والسببية ، فاذا [illegible] السببية الصرف ، واخضعت لـه في قسر وعنف، مثلما [illegible] اللغويين، تنزل رأسا وتنقلب الى « بناء فوقي » منفصل ، [illegible] تحدث الهوة بينها وبين الجماعة » .

وينتهي هذا التقديم بين المرونة اللغوية والاصالة [illegible] المختصين .

ولا بد لي من الوقوف على هذا « التقديم » لأقف على لغة الشيخ العلايلي واستعمالاته الخاصة .

جاء في التقديم :

١ ـ ... هذا فإن اللغة الآلية لغة ...

أقول : ليس هذا من أساليب العربية الفصيحة؛ ذلك أن « الآلية » معرفة فلا يمكن أن يبدل منها أو توصف بنكرة . وهذا من زحف اللغة الأجنبية وأساليبها على العربية .

٢ ـ قال الشيخ العلايلي : « فهي عند نفر لغة شائخة منزوفة الطاقة والآلية » . .

أقول : ليس في العربية بناء « فاعل » من الفعل « شاخ » بل يصار إلى « فعل » ساكن العين وهو « شيخ » ولكن حلا للشيخ العلايلي أن يشتق ويقيس اعتمادا على القياس المشهور وكأنه بهذا الحق فيخرج بشيء يحسبه جديدا والعربية تقبل الكثير من مثل هذه الجدّة .

ثم ما معنى « الآلية » هذه ؟

٣ ـ وقال : وهي عند آخرين جاءت والصعوبة على موعد ...

أقول : والفصيح الأرجح أن يقال : جاءت هي والصعوبة على موعد .

٤ ـ وقال :

فإذا غُلبت بقانون السببية ... تنعزل ...

أقول : ولم لم يقل : انعزلت ؟

٥ ـ وقال :

في صراع اتخذ أشكالا عديدة .

اقـول : ولا تعني كلمة « عديد » الكثير وانما تعني [illegible]
قـال السموأل :

تُعيّرنا أنّا قليل عديدنا فقلتُ لها إن الكرام قليلُ

وهـذا من استعمال العامـة في عصرنا .

٦ ــ وقـــال :

وبعد هـذا التعميم ...

اقـول : وقد ساغ اهل عصرنا « التعميم » نظير « التخصيص » .

وليس « عمّم » نظير « خصّص » بل ان التعميم [illegible]
بالحِيّة والعمامة ؟ والفصيح « الإعتمام » .

ثـم نأتي الى المقدمة التي حرّرها المستشاران .

قـــالا :

١ ــ واللغـة ابدا ــ كعامل للفكر ــ .

اقـول : ان استعمال الكاف في هـذا الاسلوب [illegible]
وليست كاف التشبيه وانما هي مقابل لـ (comme) [illegible]
او (as) الانكليزيــة .

٢ ــ وقـــالا :

تلـك الوشيجة الحية في العلاقة الجدلية ما بين البنية [illegible]
بالبنيـة الفوقيـة ...

اقـول : لم يعرف المستشاران دلالة « وشيجـة » [illegible]
« حيّـة » في العلاقة الجدلية .

فمـا الوشيجة ؟ ومـا العلاقة ...

ثـم نسيا ان يكررا « بين » ليؤدي [illegible]
المقصـــود .

٣ ـ وقالـــه مرة « اتخذنـــا » الامتداد والانتشار تشعُّماً متمرّكـــزا .

أقـــول : وهل جاز المرعشليين ان يشتقا كمـــا يشاءان فياتيا بـــ « التشعّـــم » ؟

٤ ـ وقـــالا :

« وأروع من ذلـــك » .

أقـــول : والشداة يعرفون ان الفصيح : « وأروع من ذلـــك » ...

٥ ـ وقـــالا :

والعربيـــة ككل اللغات الحية ، لغـــة منفتحة على الحياة .

أقـــول : ووصف اللغة بـــ « منفتحة على الحياة » ليس مـــن العربية بل هـــو اسلوب مترجم ، ألـــم تكن من الفرنسية
Elle S'ouvre Sur

وليس من حاجة أن أنبّـــه على استعمال « الكاف » التي لا تفيـــد تشبيها ، وهي في حقيقة الأمـــر دخيلة اعجمية كمـــا اشرت حين عرضت في « تقديـــم » العلايلي ؛ ذلك انها تكررت مرات عـــدّة .

٦ ـ وقـــالا :

« ونحن اذا نمر عليهـــا المبيضو الجناح ، الضيقو الافـــق انَّ عهدها لا نسخ فيـــه او حياة ، رافعين لـــواء الاعجمية او مـــزق خِرَق العامية ، عرف الأُصلاء كيـــف يتحركون للمنافحة عنهـــا » .

انتهى كلامهما غير الفصيح المليـــح .

أقـــول : أيهما كانا من « الاصلاء » الذيـــن عرفوا كيف يتحركون للمنافحة عن اللغـــة .

هـــل كان قولهما : « المبيضو الجناح » و « الضيقو الافـــق » من « الاصالة » ؟ ألـــم يعرفا ما الاضافة بنوعيها : المعنوية واللفظيـــة ، وشداة العارفين في النحـــو يدركون ما وقعا فيه .

ثـــم لا ادري اي تركيب هـــذا يسوغ بقولها : « [illegible]

٧ ـــ وقـــالا :

« وبديهـــي ان العمل المعجمي يتصدى . . . » .

اقـــول : وقع المستفان في لغـــة الناس ومما [illegible]
السبيح الفصيح هـــو : « بديهي » ، وقالوا [illegible]
« قبيلة » غير عُلَـــم وهي اسم [illegible]
العرب : عبد الله بـــن محمد البجلي والنسبة [illegible]
عَلَمًـــا لقبيلة معروفة . وفلان بن فلان الحنفي [illegible]
« حنيفـــة » قبيلة معروفة . وقالوا الفقه الحنفي [illegible]
الى ابـــي حنيفة النعمان . وقالوا : السُّوَر [illegible]
مدينة الرسول ـــ صلى اللـــه عليه وسلم ـــ .

ولا يصـــح ان تقول : ومن الطبعي والبدهي [illegible]
الطبيعـــي والبديهـــي .

٨ ـــ وقـــالا :

« واستمرت عملية جمـــع مفردات اللغة في [illegible]
المتفرقـــة . . . » .

اقـــول : لقد اشرنا الى ان « العديد » يعني « العدد [illegible]
هـــذا الخطأ في « تقديم » العلايلي .

٩ ـــ وقـــالا :

« والخليل فضلا عن كونه لغويا عَلَمًا ، [illegible]
اقـــول : وهل كان المستفان من « الاسلاف » الذين « يتكلمون »
« عن اللغة » في استعمالهم هـــذا النظام الاعجمي في [illegible]
العربية ، وفي الكلام على الخليـــل ؟

؟ الا : « والخليل » وهو مسند اليه، فاين المسند ؟

ثم الا يكون من التطاول على المصطلح العلمي ان يوصف الخليل بـ « الموسيقيّ » .

انني اعرف ان الذين ترجموا الخليل قد ذكروا انه صنَّف كتاب « النغم الكبير » وكتاب « النغم الصغير »، فهل يكون هذا مسوِّغا وصفَه بـ الموسيقيّ ؟

١٠ ــ وقالا :

« وهكذا ابتدأ بالعين من الحروف الصماء » .

لا ادري ما الحروف الصماء، ولم توصف الحروف « الاصوات » بالصمم في مصطلح اهل الاصوات، قدماء ومحدثين .

ثم فاتهما ان يقولا : الصُّمّ، لان الفصيح هو الوصف بـ « فُعْل » جمع افعل او فعلاء .

اما المراد « بالمصتم » او « المصتم » من الاصوات هي غير الحلقية .
وقال الجوهري في الصحاح : انها ضد الذلقية .

١١ ــ وقالا :

« ومنذ ان احتك العرب بدنيا الغرب ... نتيجة حملة نابليون على مصر واستقلال الجبل اللبناني ... وافتتاح الكلية الاميركية ... ووفود الارساليات ... والتي كثيرا ما تمركزت بمدارس ... والثقافة العربية في لقاح مستمر بالثقافات الغربية » .

اقول : جاء الجواب لجملة الظرف « منذ » بعد اربعة اسطر، فهل هذا من الاصالة والدفاع عن العربية ؟!

انتهى الكلام على « صحاح » المصنِّفَين اسامه ونديم المرعشليين .

[illegible] :

ومن الخير ان نصنع معجما جديدا يتخذ اشكالا متعددة :

١ — معجم تاريخي يؤرخ الكلمة العربية وتطوّرها طوال العصور .

٢ — معجم حديث تثبت فيه الكلمة العربية في العربية المعاصرة .

٢ — معجم مدرسي لفائدة الدارسين بحسب درجاتهم .

٤ — معجمات عدة للمصطلحات .

ومن الخير ايضا ان نترك « الصحاح » للجوهري وان نشرع ببناء جديد .

د . ابراهيم السامرائي